

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالحُكْمَ وَالتَّبْوَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّائِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ (79)

شرح الكلمات:

{مَا كَانَ لِبَشَرٍ}: لم يكن من شأن الإنسان الذي يؤتيه الله الكتاب والحكمة والنبوة.

{الْكِتَابَ وَالحُكْمَ وَالتَّبْوَةَ}: الكتاب: وحي الله المكتوب والحكم: بمعنى الحكمة وهي الفقه في أسرار الشرع، والنبوة: ما يشرف الله تعالى به عبده من إنباء بالغيب وتكليمه بالوحي.

{كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ}: اعبدوني من دون الله {وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّائِيِّنَ}: جمع رباني: من ينسب إلى الرب لكثرة عبادته وغزارة علمه، أو إلى الربان وهو الذي يرب الناس فيصلح أمورهم ويقوم عليها.

{بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ}: وذلك بتعليمهم الكتاب وتدريبهم ودراسته.

المعنى الإجمالي:

هذه الآية نزلت ردا لمن قال من أهل الكتاب للنبي صلى الله عليه وسلم لما أمرهم بالإيمان به ودعاهم إلى طاعته: أتريد يا محمد أن

نعبدك مع الله، فقلوه {ما كان لبشر} أي: يتمتع ويستحيل على بشر من الله عليه بإنزال الكتاب وتعليمه ما لم يكن يعلم وإرساله للخلق {أَنْ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ} فهذا من أحمل الخيال صدوره من أحد من الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام، لأن هذا أقبح الأوامر على الإطلاق، والأنبياء أكمل الخلق على الإطلاق، فأوامرهم تكون مناسبة لأحوالهم، فلا يأمرهم إلا بما في الأمور وهم أعظم الناس نفعاً عن الأمور القبيحة، فهذا قال {ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون} أي: ولكن يأمرهم بأن يكونوا ربانيين، أي: علماء حكماء حلماء معلمين للناس ومربيهم، بصغار العلم قبل كباره، عاملين بذلك، فهم يأمرهم بالعلم والعمل والتعليم التي هي مدار السعادة، وبفوات شيء منها يحصل النقص والخلل، والباء في قوله {بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ} إلخ، باء السببية، أي: بسبب تعليمكم لغيركم المتضمن لعلمكم ودرسكم لكتاب الله وسنة نبيه، التي يدرسها يرسخ العلم ويبقى، تكونون ربانيين.

بيان أن دعاء غير الله باطل:

- 1- أن الله سبحانه أمر بأن تصرف العبادات كلها له وحده.
- 2- أن الله والملائكة وأولو العلم شهدوا أنه لا يستحق العبادة غير الله.
- 3- أن دعاء غير الله من الأنبياء والصالحين لو كان صواباً لأمر به الله ولفعله النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم، لأنهم أحرص الناس على الخير.
- 4- أن الذي يتوجه إلى غير الله بالعبادة والدعاء قد ساوى هذا المعبود بالله عز وجل في الحب والتعظيم.
- 5- أن الله قد صرح في كتابه بأنه لا يستجيب الدعاء إلا الله وحده.
- 6- أن الله قد حكم على من دعا غيره أنه لا أضل منه.
- 7- أن ترك دعاء الله من أسباب غضب الله.
- 8- أن الله توعد من دعا غيره بالنار.
- 9- المعبودات التي تدعى من دون الله عاجزة من جهة العلم.

يَتَسَمَّ الْعَالَمُ الرَّبَّائِيُّ بِصِفَاتٍ سَامِيَةٍ جَلِيلَةٍ ؛ لَعَلَّ أَرْزَاهَا مَا يَلِي :

- 1- الرُّسُوحُ فِي مِيرَاثِ الْأَنْبِيَاءِ-عليهم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وهو العلمُ القائمُ على الوحي المنزل من عند الله عزَّ وجلَّ.
- 2- التَّمَسُّكُ بِمَنْهَاجِ النُّبُوَّةِ الْقَائِمِ عَلَى هَدْيِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَدْيِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ؛ وَالبَعْدُ عَنِ الْبِدْعِ وَ مُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ .
- 3- خَشْيَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.
- 4- الصَّبْرُ وَالْيَقِينُ.

دَوْرُ الْعُلَمَاءِ الرَّبَّائِيِّينَ الرَّسَائِيِّينَ نَحْوِ الْأُمَّةِ:

- 1- بَيَانُ الْحَقِّ ، وَتَلْيِغُهُ لِلنَّاسِ ، وَعَدْمُ كُتْمَانِهِ عَنْهُمْ.
- 2- تَصْفِيَةُ الْعِلْمِ مِنْ لُوثَاتِ التَّحْرِيفِ ، وَتَنْقِيَتُهُ مِنْ شَوَائِبِ التَّزْيِيفِ.
- 3- تَعْلِيمُ النَّاسِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ عُلُومِ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ.
- 4- الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ ؛ وَ إِحْيَاءُ شَعِيرَةِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ.
- 5- إِفْنَاءُ النَّاسِ ، وَبَيَانُ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ لَهُمْ.
- 6- تَوْجِيهُ النَّاسِ لِلْحَقِّ ؛ وَ تَنْبِيْهِتْهُمْ عَلَيْهِ.
- 7- جِهَادُ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالضَّلَالِ.

من فضائل العلماء:

- 1- أَنَّهُمْ أَهْلُ خَشْيَتِهِ الْحَقِيقِيَّةِ.
- 2- الْعُلَمَاءُ هُمُ الَّذِينَ يَتَدَبَّرُونَ هَذَا الْكِتَابَ الْعَجِيبَ ، وَمَنْ ثُمَّ يَعْرِفُونَ اللَّهَ مَعْرِفَةً حَقِيقِيَّةً.
- 3- الْعُلَمَاءُ لَا يَسْتَوُونَ هُمْ وَبَقِيَّةِ النَّاسِ.
- 4- الْعُلَمَاءُ هُمُ صِمَامُ أَمَانِ لِلْأُمَّةِ ، فَإِذَا غَابَ الْعُلَمَاءُ عَنِ الْأُمَّةِ ضَلَّتْ فِي دِينِهَا.
- 5- الْعُلَمَاءُ هُمُ الَّذِينَ يَسْتَحِقُّونَ أَنْ يُرْفَعَهُمُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -

درجات

كُونُوا رَبَّانِيِّينَ

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (229)



قَوَائِمُ مِنْ تَفْسِيرِ السُّورَةِ الْإِسْرَاءِ عَزَّ وَجَلَّ

79

تهدى ولا تباع

ولا تنسوننا من صالح دعائكم

أَعَدَّهَا (عزمي إبراهيم عزيز)

11- هناك فرق بين العلماء الراسخين وبين الدعاة ، ونحن في مثل هذه السنين يجب علينا وجوباً شرعياً أن نبين لهذا الجيل الصاعد من هم العلماء الراسخون ومن هم الدعاة ، نحن الآن في صفحات الانترنت أن هناك من الدعاة من يبلغ عنده من الأتباع ، لكن أن يتولى زمام الأمور هؤلاء ويترك العلماء الراسخون في العلم على أمثال الشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين والشيخ صالح الفوزان ، فهذا من الخطأ العظيم الذي ربما يحقد بالأمة أموراً لا تحمد عقباها ، لم ؟ لأن مثل الأمور التي تتعلق بالمصالح العامة الكبرى للأمة يجب أن يُرجع فيها إلى العلماء ، ، لكن أن يتصدر هؤلاء الدعاة أو أن يصدرهم الناس في مثل هذا المقام فهذا من الخطر العظيم ، لأنه فرق بين الداعية وبين العالم الشرعي فواجب علينا أن ننبه أبناءنا من أن الأمة واجب عليها أن تعود للعلماء الراسخين ولا سيما في الأمور المعضلات وكذلك يجب علينا أن نرتبط بعلمائنا الموجودين ، وهم كثر والله الحمد ، فهذا واجب علينا ، حتى لا يخرج هذا الجيل وإذا به إذا خرج لا يرى إلا فلانا وفلانا من الناس، وهذه هي المعضلة ، ولا شك أن من دعا إلى الله عز وجل لا شك أنه على خير عظيم ، ولكن يجب أن يعرف كل واعظ وأن يعرف كل طالب علم وأن يعرف كل داعية يجب عليه أن يعرف قدره ومكانته .

12- العلماء : أنهم متى ما كانوا أحياء كان العلم حياً ، ومتى ما ذهب العلماء من الأرض ذهب العلم ، ومتى ما ذهب العلم حل الجهل.

13- فضل الدعوة والداعية عند الله:

- 1- أنهم خير هذه الأمة على الإطلاق.
 - 2- أنهم المفلحون والسعداء في الدنيا والآخرة.
 - 3- يشملهم برحمته الغامرة ، ويخصهم بنعمته الفائقة.
 - 4- أن أجورهم مستمر ومثوبتهم دائمة.
 - 5- أن تسبيحهم في الهداية خير مما طلعت عليه الشمس وغربت.
- والله اعلم وصلى الله على محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

الفوائد :

- 1- لم يكن من الممكن لمن آتاه الله الكتاب والحكمة وشرفه بالنبوة أن يدعو الناس لعبادة نفسه فضلاً عن عبادة غيره.
- 2- سادات الناس هم الربانيون الذين يربون الناس بالعلم والحكمة فيصلحونهم ويهدونهم.
- 3- عظماء الناس من يعلمون الناس الخير ويهدونهم إليه.
- 4- يجب إخلاص العبادة لله وحده، كما قال: قُلْ: **اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي** [الزمر 14/39] .
- 5- يقول الرسول للناس: كونوا ربانيين أي علماء فقهاء عاملين بما أمر الله، مطيعين له طاعة تامة لأن العلم الصحيح هو الذي يبعث على العمل، وإن تعلم الكتاب الإلهي ودراسته يوجب الطاعة، ويحقق وصف الربانيز
- 6- لا يعقل أن يأمر الرسول باتخاذ إله أو رب غير الله، أو بعبادة أحد غير الله، لا نبي مرسل ولا ملك مقرب.
- 7- إن منهج الإسلام الأساسي في إصلاح العقيدة: هو إحقاق الحق وتثبيت معاملة وصرحه، وإبطال الشرك وهدم معاقله وحصونه.
- 8- ليس هناك أخطر على الأمة من تشوية عقيدتها، وتحريف كتاب الله، وتأويل الكلام تأويلاً باطلاً، وليس هناك أيضاً أضر على الإنسان من الشرك والوثنية واتخاذ الأرباب مع الله ظلماً وزوراً، وافتراءً وبهتاناً.
- 9- إن الأديان المنزلة من الله تعالى واحدة في أصولها، فهي متفقة على الدعوة إلى توحيد الله عز وجل.
- 10- لا يمكن أن يقول شخص مخلص أتاه الله الكتاب والحكمة والنبوة للناس عبادوني بدلاً من الله تعالى أو اتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً بدلاً من الله لأنه بذلك يكون قد أمرهم بالكفر بعد أن يكون دعاهم إلى الإسلام فأسلموا. وكل ما يمكن أن يقوله للناس كونوا ربانيين أي مخلصين لله وعبادته.